

مقاربات التناول لأخطاء الكفاءة لدى المتعلمين

في علم اللغة التطبيقي الحديث.

د. بوعصابة عبد القادر.

المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية.

وهران

يفرق علم اللغة الحديث بين مصطلحي "الاكتساب" و "التعلم"؛ ويقصدون بعملية "الاكتساب" الطريقة الطبيعية التي يتم من خلالها تملك المتعلم للغة ما، بشكل عفوي وضمني وفي وسط طبيعي ... بينما يعني التعلم الطريقة الموجهة التي يتم من خلالها تملك المتعلم للغة ما، بشكل واع وصريح وفي وسط مصطنع ...

والأكيد أنه خلال عملية التعلم - وحتى بعدها - يقع المتعلم في كثير من الأخطاء، هذه الأخطاء التي تعمل المناهج والمقررات لتعليم اللغات على "معالجتها"؛ ولمعالجتها تحتاج تلك المناهج والمقررات إلى تمارين تعالج هكذا أخطاء، وهذا يعني فيما يعنيه أن تكون قادرة على تحديدها؟ فهل تم ذلك فعلا وما هي المقاربات التي أعتمدها علماء اللغة التطبيقي لبلوغ هذه الغاية متى كان الهدف هو الوصول إلى المتكلم المثالي الذي يتواصل في لغة غير لغته الأم من دون أخطاء؟

(أخطاء الأداء وأخطاء الكفاءة)

يمكن في الأخطاء التي تقع من المتكلم أن نميز بين نوعين منها:

■ "أخطاء أداء" يمكن للمتعلم أن يتعرف عليها وأن يصححها

بنفسه ويكون سببها غالبا نسيان القاعدة، التعب أو السرعة في الكلام إلخ ... وهذا النوع هو الذي نعبر عنه بـ " زلة لسان ".

■ "أخطاء كفاءة (وقدرة ومهارة)" لا يمكن للمتعلم أن يتعرف

عليها أو أن يقوم بتصحيحها بنفسه وهي قسمان أخطاء كفاءة في استقبال ما ينتجه الآخرون وأخطاء كفاءة فيما ينتجه المتعلم نفسه ويعبر به، وهذا القسم الأخير هو الذي نبه إليه كوردر وذكر أنه: "تعبير عن الافتراضات الخاطئة إذا نظرنا إلى تعلم اللغة على أنه نشاط معرفي لمعالجة البيانات وتشكيل الفرضيات"¹.

والقسم الثاني هو موضوع هذه الدراسة دون القسم الأول؛ وفي هذا المقال ذكر لدراسة أخطاء الكفاءة دون أخطاء الأداء ضمن السياق التاريخي لظهورها.

(نظرية التدخل اللغوي)

لم يكن لادو (Lado) أول من نبه إلى أهمية علم اللغة التقابلي في تعلم اللغات الأجنبية، فقد سبقه إلى ذلك فريز (Fries) و فريش (Weinreich)، ولكن هذا العلم عرف بداياته الحقيقية بعد صدور كتاب لادو "اللغة من خلال الثقافات: اللغويات التطبيقية لمعلمي اللغات"².

¹ Jean-Pierre Robert, Dictionnaire pratique de didactique du FLE (Collection L'Essentiel français), Paris-France, Ophrys, 2^e Edition, 2008, p.82.

² Robert Lado, Linguistics across cultures: applied linguistics for languages teachers, Michigan, university of Michigan press, 1957.

كان لادو يرى أن التحليل التقابلي بين اللغة الأصل واللغة الهدف سيسمح باكتشاف وتوقع كل مواضع الصعوبة والسهولة في تعلم اللغة الهدف³، وعليه سيسمح هذا النوع من التحليل بتوقع الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها المتعلم لهذه اللغة الهدف.

ويرى لادو أن أوجه التشابه بين اللغة الأصل واللغة الهدف ستجعل من عملية التعلم أكثر سهولة بينما تجعل وجوه الاختلاف بينهما من هذه العملية أكثر صعوبة وتعقيدا مما يترتب عليه حتما وقوع المتعلم في الأخطاء، فإن أصل الأخطاء عند لادو ينتج عن أوجه الاختلاف بين اللغتين حيث ستساعد عملية "النقل السلبي" على الوقوع في مثل هذه الأخطاء.

وبالتالي سيسمح علم اللغة التقابلي من خلال التحليل التقابلي بتحديد تلك الأخطاء حتى قبل أن تقع من المتعلم على أن يعمل على معالجتها لاحقا، وذلك باقتراح تمارين معالجة: الهدف منها تكوين عادات خاصة باللغة الهدف.

وكل هذا يقوم على فرضية مؤداها أننا لا نتعلم لغة ثانية من فراغ، بل نتعلمها من خلال لغتنا الأم، لأن عملية التعلم لا تتم بمعزل عن العادات اللغوية التي سبق وأن اكتسبها المتعلم⁴.

هذا ما دفع المختصين للبحث في "علم اللغة التقابلي" وعن طريق التحليل التقابلي لتحديد وجوه الشبه وكذلك الاختلاف بين اللغة

³ Ibid., p. VII.

⁴ ينظر: عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، الإسكندرية- مصر، دار المعرفة الجامعية، 1995، ص 55.

المكتسبة واللغة الهدف، وذلك لتحديد مواطن الصعوبة والسهولة سلفاً في موضوع التعلم. فمن الواضح أنه لا يمكن أن نتكلم عن تدخل لغوي إلا "حين يستعمل شخص ثنائي اللغة في لغة هدف ل2، ميزة صوتية، مورفولوجية، معجمية أو نحوية مميزة للغة ل1"⁵.

(نقد نظرية التدخل اللغوي)

ولكن ما ذهب إليه لادو لم يسلم من النقد؛ فإنه قد تم من خلال الملاحظة الميدانية التأكد من أن ثمة أخطاء يقع فيها المتعلم للغة أخرى لم يتوقعها التحليل التقابلي، وفي المقابل هناك أخطاء توقعها التحليل التقابلي ولكنها لم تقع بالفعل، بل هناك أخطاء مشتركة يقع فيها المتعلمون للغة واحدة رغم أن لغاتهم الأصلية مختلفة تماماً. فكيف يمكن تفسير كل ذلك؟

نفى كل من دولي (Dulay) و بورت (Beurt) ما ذهب إليه لادو، وذلك بعد ملاحظتهما لتعلم الأطفال للغة أجنبية. فقد انتهيا إلى نتيجة مفادها أن الأخطاء التي يقع فيها الأطفال وهم يتعلمون اللغة الأجنبية يقع في نصاب سوء الفهم وسوء الاستعمال الناتج عن "الافراط في التعميم" ضمن اللغة الهدف ... وليس ناتجا عن اختلاف اللغتين.

وهذا كان يعني أن " التحليل التقابلي " للغة أصلية وأخرى هدف لم يستطع أن يثبت كفاءته في التنبأ بكل الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها

⁵ KANNAS, Caude, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse, Paris, 1994, p.252.

المتعلم، وهذا كان يعني أيضا أن هناك أخطاء لا يمكن لهذه المقاربة معالجتها.

(تحليل الأخطاء)

بالإضافة إلى ذلك كان لدى كلغمان انتقاد آخر لما ذهب إليه لادو في غاية الأهمية، فقد رأى ولاحظ أن علم اللغة التقابلي في توقعه للأخطاء وعمله على تصحيحها وتجاوزها يعتمد على مقارنة اللغة الهدف باللغة الأصل، وبهذا فهو يستبعد من مجال دراسته دراسة ما ينتجه المتعلم خلال تعلمه.

وفي نفس السياق يرى كلغمان أن دراسة لغة المتعلم ستسمح لنا بمعرفة تلك الأخطاء وتصنيفها وبالتالي تفسير تلك الأخطاء لمعالجتها لاحقا. وهنا يبدو واضحا أن مفهوم "التدخل" لا يكفي لوحده لتفسير الأخطاء وهذا ما فتح الباب واسعا لـ "علم تحليل الأخطاء"، وإن كان - في الواقع - يمكن أن يكون التحليل التقابلي أداة ممتازة لتفسير الكثير من الأخطاء التي يكون سببها التدخل اللغوي لـ: 1 في 2.

كل ذلك كان من نتيجته أن تحول الدرس اللغوي في هذا التوجه الجديد من دراسة الأخطاء قبل وقوعها إلى دراسة الأخطاء بعد وقوعها فعلا؛ بعبارة أخرى تحول موضوع الدراسة من دراسة ما يمكن أن نتنبأه من الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها المتعلم إلى دراسة الأخطاء التي تمت وتتم فعلا خلال العملية التعليمية التعلمية، وعليه يكون موضوع علم

تحليل الأخطاء المقارنة بين اللغة الهدف ولغة المتعلم بدل المقارنة بين اللغة الهدف واللغة الأم كما هو الحال في التحليل التقابلي.

على أن الهدف من تحليل الأخطاء يتعين أن لا يقتصر على تحديد تلك الأخطاء ودراستها بل يتعدى ذلك إلى معرفة أسبابها، يقول بوركيي: "لا يكفي أن نعرف ما هي الأخطاء التي تحدث وعلى ماذا تحمل، ولكن يتعين علينا أيضا أن نجد لماذا تقع فعلا" ⁶. وعليه فإن المهمة والهدف من "تحليل الأخطاء" لا تقتصر على وصف تلك الأخطاء وتصنيفها بل تتعدى ذلك إلى تفسيرها.

يبقى من باب الإنصاف هنا أن نذكر أن لادو كان قد دعا فعلا إلى التأكد من فرضيته - أعني "التدخل اللغوي" وما يمكن أن نتوقعه من أخطاء - وذلك بدراسة وتحليل الأخطاء التي تقع من المتعلم فعلا!

(لغة المتعلم)

لقد كان من نتائج "علم تحليل الأخطاء" أنه حول اهتمام علماء اللغة من المقارنة بين اللغة الأصل واللغة الهدف إلى الاهتمام بما ينتجه المتعلم أي الاهتمام بـ "لغة المتعلم" واعتبار الخطأ أمرا يمكنه أن يكشف لنا عن العمليات الذهنية للمتعلم في تعلمه للغة غير لغته الأم.

(الأهداف المتوخاة من تحليل الأخطاء)

⁶ PORQUIER, R, L'analyse des erreurs : problèmes et perspectives, Etudes de linguistique appliquée, vol 25, 1977, 26.

لكل عمل هدف ما أو أهداف ما، وقد يكون من المهم بل ومن المهم جدا أن نفهم وبشيء من التفصيل الأهداف المتوخاة من تحليل الأخطاء. في الحقيقة يمكن حصر تلك الأهداف في غايتين اثنتين:

1- يساعد علم تحليل الأخطاء على تحديد مواطن الصعوبة لدى المتعلم في تعلم لغة هدف، وبالتالي وضع المقررات التي بإمكانها أن تتجاوز تلك الصعوبات وأن تجعل من العملية التعليمية التعلمية عملية ناجحة، وعليه فهي في النهاية غاية " تعليمية ".

2- يساعد علم تحليل الأخطاء على التعرف أكثر على لغة المتعلم وهذا بدوره يجعلنا نتعرف أكثر على طريقة المتعلم في تعلم اللغة: مثلا في الجانب المعرفي أو النفسي كذلك، وهذا مهد لظهور علوم كعلم اللغة النفسي الذي يعني " دراسة العمليات المعرفية المنفذة في معالجة وإنتاج اللغة " أو بعبارة أخرى تعني: "الدراسة العلمية للعوامل النفسية التي تسمح بإنتاج وفهم الخطاب"⁷، وعليه فهي في النهاية غاية " معرفية ".

في الأخير يمكن أن نلاحظ أن أخطاء الكفاءة بشقها الانتاجي قد أخذ حصة الأسد من الدراسات اللغوية التطبيقية وذلك على حساب أخطاء الكفاءة بشقها الاستقبالي وكذلك أخطاء الأداء، وأن التحليل التقابلي قد عمد لمقارنة اللغة الأصل باللغة الهدف بغرض التنبأ سلفا بالأخطاء التي يمكن أن يقع فيها المتعلم إلا أنه لم يتمكن من التنبأ بكل

⁷ Le petit Larousse illustré, Paris- France, édition Larousse, 2008, p.832

الأخطاء بل وربما تنبأ بأخطاء لم يحدث وأن وقع فيها المتعلمون، وهذا فتح المجال واسعا أمام تحليل الأخطاء التي يقع فيها المتعلم فعلا، وبذلك تحولت المقارنة من المقارنة بين ل1 و ل2 إلى المقارنة بين لغة المتعلم ول2، ولكن التحليل التقابلي يبقى ذو أهمية بالغة في تفسير الأخطاء التي يكون سببها "التدخل".

(فهرس المصادر والمراجع)

- عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، الإسكندرية- مصر، دار المعرفة الجامعية، 1995.
- Jean-Pierre Robert, Dictionnaire pratique de didactique du FLE (Collection L'Essentiel français), Paris-France, Ophrys, 2^e Edition, 2008.
 - KANNAS, Caude, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse, Paris, 1994.
 - Le petit Larousse illustré, Paris- France, édition Larousse, 2008.
 - PORQUIER, R, L'analyse des erreurs : problèmes et perspectives, Etudes de linguistiques appliquée, vol 25, jan-mar. 1977.
 - Robert Lado, Linguistics across cultures : applied linguistics for languages teachers, Michigan, university of Michigan press, 1957.